

الغذاء الصّحي والغير الصّحي في الهدي النبوي -دراسة تحليلية-

HEALTHY AND UNHEALTHY FOOD IN THE PROPHET'S GUIDANCE (AN ANALYTICAL STUDY)

¹Dr Bashir ul Rehman, ²Mr. Arshad Imran Rahmani, ³Ahsan Alahi Zaheer

*Assistant Professor, Faculty of Usuluddin, Department of Hadith and its Sciences IIUI

**M.phil scholar International Islamic University Islamabad

***M.Phil scholar International Islamic University Islamabad

ABSTRACT

In the Sunnah of the Holy Prophet (peace be upon him) we find very useful guidance regarding human health, so he informed us about everything that is beneficial for human health and forbade everything that is harmful to health. The survival of human health depends on food, which is one of the basic needs of health. This is the reason why Allah, the Exalted, gave a special order about food and drink, saying: "Eat and drink and do not exceed." Not eating or not providing the body with the required amount of food is excess and if the reason for this action is that it is not possible for the body to maintain its relationship with the soul, it is like indirectly killing the body while killing oneself. It is forbidden to do so, the divine commandment is: "And do not kill yourselves; verily, Allah is Merciful to you." The same way, the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) forbade wasal (intermittent fasting) in fasting and said the reason for it: "Your body has a right over you". In the light of Islamic teachings, the goal of food is not only to fill the stomach, but its goal is very high and noble, and that is that a person can serve Allah by getting the required strength of the body through food, so in view of this pure goal, Islam He has exhorted his followers to avoid haram food, but has made the surety of acceptance of worship on halal food. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) explained the benefits of certain foods and encouraged to eat and forbade to eat due to the harmful aspects. In the article under review, in the light of the Prophet's Sunnah, we have tried to shed light on all those foods that are beneficial for human health and all those foods that are harmful to health. Therefore, the title of the article has been established.

Key words: food, beneficial, harmful, health.

تمهيد:

- مفهوم الغذاء وأهميته لجسم الإنسان:
المراد بالغذاء هو ما يأكله الإنسان ويشرب، والذي يحتوي على العناصر الغذائية النافعة والمفيدة للجسم، مثل: الكربوهيدرات (Carbohydrate)، والدهون (Fats)، والبروتينات (Proteins)، والمعادن (Minerals)، والفيتامينات (Vitamins)، والماء (Water). مما يعطي للجسم القدرة على النمو بشكل سليم ويحفظ الجسم ويحميه من الأمراض، ويوفر الطاقة للقيام بالواجبات والأعمال.
- ولما كان الغذاء من متطلبات الجسم الأساسية نجد الشارع يحث على تناوله، قائلاً: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"⁽¹⁾، كما نهى عن الامتناع عنه، لأنه إقدام على تلف الجسم بطريق غير مباشر، وهذا لا يجوز في الشريعة، وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال بقوله "إياكم والوصال"⁽²⁾ فإذا كان الوصال في الصوم رغم أنه (الصوم) عبادة، فالامتناع بدون أي سبب، فالنهى عنه أكد، لأنه امتناع عن أداء الحقوق التي كلف الشرع العباد بأدائها، في قوله عليه الصلاة والسلام: "فإنَّ لِجِسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"⁽³⁾، كما حذر الله سبحانه عن أي وسيلة تؤدي إلى هلاك النفس، بقوله: "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ"⁽⁴⁾ فالامتناع التام عن الطعام قتلٌ للنفس.
- فلسفة الغذاء في الإسلام:

- (1) جزء من آية: 31، سورة الأعراف.
- (2) محمد ابن إسماعيل البخاري، "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، كتاب الصوم، باب الوصال إلى السحر 49/2 (1967) (طبع: المكتبة السلفية، ومكتبتها 21 شارع الفتح بالروضة، القاهرة) ومسلم بن الحجاج "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ"، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال 774/2 (1103) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، الرياض 1417هـ).
- (3) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم 51/2 (1975)
- (4) سورة النساء، رقم الآية: (29).

إن سائر الأعمال التي يقوم بها المسلم في حياته تهدف إلى هدف سام وغاية كبرى، هو: تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، ممثلاً قول الله عزوجل: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"⁽⁵⁾. فالغذاء أيضاً يهدف إلى هذا الهدف النبيل بحيث يستعين به المرء المسلم على عبادة الله حيث يتم توفير الطاقة به. فهو على هذا الأساس يعتبر وسيلة لا غاية.

فإذا كان فلسفة الغذاء في الإسلام تهدف إلى هذا الهدف النبيل فقد أوجب الإسلام على أهله أكل الطيبات والاجتناب عن المحرمات. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَيْتَةِ وَالذَّمِّ وَاللَّحْمِ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"⁽⁶⁾. وقال رسول الله ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"⁽⁷⁾ وَقَالَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ. أَشْعَثُ أَغْبَرَ. يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ. فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"⁽⁸⁾.

لذا ينبغي للمسلم أن يعتني بأكل الطيبات أولاً ثم يحرص على تلبية احتياجات جسمه من جميع العناصر الغذائية التي يضمن توفرها الإبقاء على الجسم صحيحاً سليماً بعيداً عن الأمراض، وكذلك الحرص على تجنب الأغذية الضارة التي تسبب المشاكل الصحية والأمراض للجسم.

وإذا تأملنا في الهدي النبوي عليه الصلاة والسلام، نجد توجهاته الكريم في هذا الصدد حيث حث على أكل بعض الأغذية وبين فوائدها، كما نهى عن تناول بعض الأغذية وحرمها، لما فيها أضرار ملموسة لصحة الإنسان، وفي هذا البحث حاولت أن ألقى أضواء بسيطة على هذه التوجيهات، وقسمته إلى تمهيد، ومبحثين. المبحث الأول: الأغذية المباحة والنافعة.

لقد أورد النبي ﷺ الناس إلى بعض الأغذية مما لها فوائد ملموسة من الناحية الصحية، كما تحتوي هذه الأطعمة على أهم العناصر الغذائية اللازمة لجسم الإنسان مما قد اعترفه أطباء العصر الحاضر، منها:

أولاً: التمر. وهو حمل النخل. والنخل شجر مبارك ذو منافع طبية، لذا فقد سمي الله في القرآن بـ "شجرة طيبة" كما في سورة إبراهيم: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"⁽⁹⁾. والمراد بـ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، أنها النخلة. كما فسر به النبي ﷺ نفسه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما بقوله: "أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلِهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَا تُحْتُ وَرَقُهَا" يقول ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة. فكرهت أن أتكلم وتَمَّ أبو بكر وعمر. فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: "هِيَ النَّخْلَةُ" ...⁽¹⁰⁾.

قيمة التمر الغذائية والصحية: إن جميع أنواع التمر تحتوي على نسب متوازنة من العناصر الغذائية الضرورية لجسم الإنسان، وإن كان بعضها تختلف في الطعم والحلاوة، كما يمتاز العجوة والرطب وورد ذكرهما في الأحاديث بشكل ملموس لأجل احتوائهما على فوائد صحية بشكل خاص.

ومما يدل على كون التمر غذاءً كاملاً ما وردت الإشارة إليه في حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "يَا عَائِشَةُ! بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ، جِيَاعٌ أَهْلُهُ. يَا عَائِشَةُ! بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ - أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ" قالها مرتين أو ثلاثاً⁽¹¹⁾.

هذا الحديث يدل على فضيلة التمر كما يدل على أنه غذاء؛ بها قوام الأبدان. وحسب تحقيقات علمية، فإن التمر يحتوي على أهم العناصر الغذائية، فهو غني بالأملاح المعدنية القلوية مثل: الكالسيوم (Calcium) والبوتاسيوم (Potassium)، والمغنيزيوم (Magnesium)، والألياف (Fibers)، وغني جداً بعنصر

(5) سورة الأنعام، رقم الآية: (162).

(6) سورة البقرة، الآيات: (172 - 173).

(7) سورة المؤمنون، رقم الآية: (51).

(8) مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها 703/2 (703).

(9) سورة إبراهيم، الآيات: (24، 25).

(10) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال 118/4 (6144)، ومسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة 2164/4 (2811).

(11) مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب الأشربة، باب في ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال 1618/3 (2046).

الحديد، كما يحتوي على كمية لا بأس بها من فيتامين ب، و ج (Vitamin B,C). ونقص هذه العناصر في الجسم يؤدي إلى حدوث أنواع من الأعراض والأسقام⁽¹²⁾.

ومن أفضل التمور، العجوة وهو أحد أنواع تمر المدينة يُضرب إلى سواد⁽¹³⁾، فيه شفاء من السم والسحر، والمتعین أكله صباحاً كما صرح به النبي ﷺ في قوله: "من تصبّح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحرٌ"⁽¹⁴⁾ وجاء في رواية تصريح عجوة المدينة حيث قال: "من أكل سبع تمرات بين لابتبها"⁽¹⁵⁾ حين يصبح، لم يضره سُمٌّ حتى يُمسي"⁽¹⁶⁾. لذا فقد اختلف أهل العلم بالمراد من هذا الحديث، هل المقصود تمر المدينة وحدها؟ وهل يكون العلاج في النهار لا في الليل؟ وهل المقصود العجوة لا غيرها من أنواع التمور؟ وهل العلاج مقيد بالزمان والمكان أم هو مطلق؟ وهل الحديث الشريف خاص لأهل المدينة أم هو بركة دعوة الرسول لأهل المدينة في زمنه؟ وغير ذلك.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "كون العجوة تنفع من السُمِّ والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة، لا لخاصية في التمر"⁽¹⁷⁾.

وقال القاضي عياض رحمه الله: "تخصيصه ذلك بعجوة العالية وبما بين لابتي المدينة يرفع هذا الإشكال ويكون خصوصاً لها، كما وُجد الشفاء لبعض الأدوية في الأدوية التي تكون في بعض تلك البلاد دون ذلك الجنس في غيره، لتأثير يكون في ذلك من الأرض أو الهواء"⁽¹⁸⁾.

ومن أفضل التمور، الرطب، الذي هو مر النخيل الناضج قبل أن يبدأ بالذبول والجفاف. وتركيبه قريب من تركيب التمر ولكنه أكثر ماء.

وقد جاء ذكر الرطب في القرآن الكريم حيث أنعم الله على السيدة مريم عليها السلام حين مخاضها. "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا"⁽¹⁹⁾.

تدل هذه الآيات على أن الرطب غذاء مفيد للنساء. يقول الربيع بن خثيم⁽²⁰⁾: "ما للنساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنساء لأطعمه مريم، ولذلك قالوا: التمر عادة للنساء من ذلك الوقت، وكذلك التحنيك. وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل"⁽²¹⁾.

ويقول أطباء عصر الحديث في الحكمة من هذا الأمر الرباني لمريم عليها السلام، لأن التمر غني بالسكريات وخصوصاً الجلوكوز، السريع الامتصاص والذي لا يحتاج إلى عمليات هضم، ويطلق طاقة حرارية ممتازة في وقت قصير جداً. كما أمر سبحانه بشرب الماء، فكأنها بذلك تتناول محلول جلوكوز بالماء. وهذا ما ينصح به الأطباء المتخصصون بالولادة.

- (12) انظر: الدكتور حسّان شمسي باشا، "الأسودان - التمر والماء - بين القرآن والسنة والطب الحديث"، ص/26 - 32. وانظر أيضاً: عبد الباسط السيد، "التغذية النبوية - الغذاء بين الداء والدواء"، ص/186 - 190.
- (13) ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر" ص/596. (الطبعة الأولى 1421هـ، دار ابن الجوزي، الرياض).
- (14) محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري" كتاب العجوة، باب العجوة 445/3 (5445)، ومسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة 1618/3 (2047).
- (15) لابتبها: هما الحرتان اللتان تحيطان بالمدينة. انظر: النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" 2/14. (الطبعة الثانية، 1392هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- (16) أخرجه في نفس الموضوع السابق. من طريق عبد الله بن عبد الرحمن، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه (سعد) رضي الله عنه.
- (17) انظر: ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" 250/10. (ط/ دار المعرفة - بيروت، 1379هـ).
- (18) انظر: ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" 250/10.
- (19) سورة مريم، الآيات: (23 - 26).
- (20) الربيع بن خثيم بن عائد أبو يزيد الثوري. أحد الأعلام، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه. اختلف في تاريخ وفاته، فقيل: سنة إحدى وستين، وقيل: ثلاث وستين، وقيل: خمس وستين. انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء" 258/4 (الطبعة الثالثة 1405هـ، مؤسسة الرسالة). وابن حجر، "تقريب التهذيب" ص/319 (الطبعة الأولى 1416هـ، دار العاصمة، الرياض) قلت: جاء في بعض المراجع: الربيع بن خثيم (بتقديم الياء على الشاء) ولكن الصواب كما جاء في ترجمته هو: "خثيم" بتقديم الشاء على الياء. والله أعلم.
- (21) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" 96/11. (دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ).

ينصحون الماخض بأن تعطى سوائل سكرية وخصوصاً الماء والجلوكوز. كما يقولون أن في التمر مادة قابضة للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة⁽²²⁾.

وفي استحباب الإفطار على التمر⁽²³⁾ أيضاً حكم صحية منها أن وصول التمر إلى المعدة وهي خالية أغذى، وإلا أخرج بقايا الطعام. قاله قاضي عياض⁽²⁴⁾. كما أن التمر مفيد في أمراض المعدة، والأمعاء، والمثانة، وقتل الدود في البطن، والإمساك، والضعف العام، والرجفان، والتشنجات العضلية، كما هو مفيد للام الماخض والنفساء، وغيرها من الأعراض⁽²⁵⁾.
ثانياً: العسل، وهو غذاء ودواء مما عرفت البشرية خصائصه منذ بدء الخليقة، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة، مما يدل على فوائده الغذائية وأهميته العلاجية، قال تعالى: "وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"⁽²⁶⁾

والضمير في قوله تعالى: "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" راجع إلى العسل وهو قول الجمهور، وقيل إنه راجع إلى القرآن وهو بعيد لأن سياق الكلام كله للعسل وليس للقرآن فيه ذكر⁽²⁷⁾.
وأخبر النبي ﷺ بوجود الشفاء في العسل، فقال: "الشفاء في ثلاثة: في شُرْطَةِ مَحْجَمٍ"⁽²⁸⁾، أو شُرْبَةِ عَسَلٍ، أو كِيَّةِ بَنَارٍ. وَأَنَا أَنَّهُى أُمَّتِي عَنِ الْكِي"⁽²⁹⁾.

وروى جابر رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ خَيْرٌ فِي شُرْطَةِ مَحْجَمٍ أَوْ شُرْبَةِ عَسَلٍ أَوْ لُدْعَةٍ بَنَارٍ تُؤَافِقُ الدَّاءَ وَمَا أُجِبُّ أَنْ أَكْتُوِي"⁽³⁰⁾.
وهذان الحديثان فيهما التصريح بأن العسل فيه شفاء للأمراض، يقول النووي في شرح حديث جابر: "فهذا من بديع الطب عند أهله لأن الأمراض الامتلائية؛ دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية. فإن كانت دموية فشفافاً وإخراج الدم، وإن كانت من الثلاثة الباقية فشفافاً بالاسهال بالمسهل اللاتق لكل خلط منها. فكانه نبه صلى الله عليه وسلم بالعسل على المسهلات، وبالحجامة على إخراج الدم بها، وبالفصد ووضع العلق وغيرها مما في معناها، وذكر الكي لأنه يستعمل عند عدم نفع الأدوية المشروبة ونحوها، فآخر الطب؛ الكي. وقوله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن أكتوي إشارة إلى تأخير العلاج بالكي حتى يضطر إليه لما فيه من استعمال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي"⁽³¹⁾.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ وأخبره بأن أخاه يشتكي بطنه، فأمره النبي ﷺ بسقي العسل، وكلما رجع الرجل أمره بسقي العسل ثلاث مرات، ثم أتاه فقال: قد فعلت: فقال ﷺ: "صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، إِسْقِهِ عَسَلًا". فَسَقَاهُ، فَبَرَأَ⁽³²⁾.

(22) انظر: حسان شمسي باشا، "الأسودان - التمر والماء - بين القرآن والسنة والطب الحديث"، ص/69. (الطبعة الثانية 1416هـ، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية).

(23) ثبت من حديث أنس رضي الله عنه، انظر: أخرجه أبو داود في كتاب الصيام، باب ما يفطر عليه 359/1، (2356)، (الطبعة الأولى، بدون سنة النشر، مكتبة المعارف، الرياض)، وحسنه الشيخ الألباني في "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل" 45/4 (922). (الطبعة الثانية 1405هـ المكتبة الإسلامي بيروت).

(24) المناوي، "فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير" 374/1 (الطبعة الأولى 1415هـ دار الكتب العلمية، بيروت).

(25) انظر: الدكتور حسان شمسي باشا "الأسودان - التمر والماء - بين القرآن والسنة والطب الحديث"، ص/33-50.

(26) سورة النحل، الآيات: (68 ، 69).

(27) انظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع القرآن عن تأويل أي القرآن" (المعروف بتفسير الطبري) 250/17، (دار عالم الكتب، الرياض 1423هـ)، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" 136/10.

(28) قال النووي: "المراد بالمحجم هنا؛ الحديدية التي يشرط بها موضع الحجامة ليخرج الدم". "شرح النووي على صحيح مسلم" 197/14.

(29) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث 31/4 (5681).

(30) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) 33/4 (5684)، ومسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب السلام، باب التداوي بالعسل 1736/4 (2205).

(31) النووي، "شرح النووي على صحيح مسلم" 193/14.

(32) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) 33/4 (5684) واللفظ له، ومسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب السلام، باب التداوي بالعسل 1736/4 (2217). وعنده: "استطلق بطنه" بدل "يشتكي" وفي رواية عنده: "عرب بطنه" (أي فسدت معدته). قاله النووي في المنهاج (203/14). كما زاد: "إني سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً". وهي عند البخاري برقم: (5716).

قال بعض العلماء بالطب: "كان هذا الرجل عنده فضلات، فلما سقاه عسلاً وهو حار تحللت، فأسرعت في الاندفاع، فزاد إسهاله، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فزاد التحليل والدفع، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلاح مزاجه، واندفعت الأسقام والألام ببركة إشارته، صلوات الله وسلامه عليه"⁽³³⁾.

اعتراض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث:

اعتراض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث فقال: قد أجمعت الأطباء على أن العسل يُسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال؟

أجاب عليه الإمام القرطبي رحمه الله، فقال: "ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه السلام، فيستعمله على الوجه الذي عيّنه وفي المحل الذي أمره بعقد نية وحسن طوية، فإنه يرى منفعته ويُدرك بركته، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره. قال الإمام أبو عبدالله المازري: ينبغي أن يعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة، منها: الإسهال الحادث عن التخم والهيضات؛ والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعين ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر، فإذا وضح هذا؛ قلنا: فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال فوافقه شرب العسل"⁽³⁴⁾.

ثالثاً: الحبة السوداء، قال ابن القيم: "هي الشونيز في لغة الفرس، وهي الكُمون الأسود، وتسمى الكُمون الهندي"⁽³⁵⁾. وقال ابن حجر: "تسمية الحبة السوداء بالشونيز؛ لشهرة الشونيز عندهم إذ ذاك، وأما الآن فالأمر بالعكس، والحبة السوداء أشهر عند أهل هذا العصر من الشونيز بكثير"⁽³⁶⁾.

لقد وردت في فضل حبة السوداء وفي الشفاء الكامن فيها عدة أحاديث، منها ما ذكره خالد بن سعد بأنهم خرجوا ومعهم غالب بن أبجر⁽³⁷⁾ فمرض في الطريق، فلما قدموا المدينة عاده ابن أبي عتيق⁽³⁸⁾ فقال: "عليكم بهذه الحبيبية السوداء فخذوا منها خمسا أو سبعا فاسحقوها ثم اقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب" ثم قال: حدثتني عائشة أنها سمعت من النبي ﷺ يقول: "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام" قلت: وما السام؟ قال: "الأموت"⁽³⁹⁾. وهناك أحاديث أخرى وكلها تدل على قيمة هذه الحبة المباركة، وفيها شفاء لكل داء سوا الموت. لكن يطرح سؤال، وهي: هل الشفاء عام من كل داء أو هو مخصوص لبعض الأمراض؟ على قولين، فقال بعضهم إن هذا من عموم اللفظ الذي يراد به الخصوص⁽⁴⁰⁾، وقال بعضهم هي باقية على عمومها⁽⁴¹⁾.

ويمكن الجمع بين القولين بأن نحملها على العموم، أي: شفاء من كل داء على العموم، ولكن بالاستخدامات المختلفة (الأكل والشرب والضماذ .)، وبمشاركة غيرها أحياناً. ويؤيده ما قال ابن حجر رحمه الله: "ويؤخذ من ذلك أن معنى كون الحبة السوداء شفاء من كل داء أنها لا تستعمل في كل داء صرفاً بل ربما استعملت مفردة، وربما استعملت مركبة، وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة، وربما استعملت أكلاً وشرباً وسعوطاً وضماذاً وغير ذلك"⁽⁴²⁾. قلت: ويؤيد قوله -رحمه الله- تجارب أهل العلم والأطباء بحيث يستعملون حبة السوداء في علاج كثير من الأمراض بالمشاركة مع الأدوية أحياناً وبالاستخدامات المختلفة لها. فوائد حبة السوداء الطبية:

(33) انظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" 583/4. (الطبعة الأولى 1420هـ، دارطبية للنشر والتوزيع).

(34) انظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" 138/10.

(35) انظر: ابن القيم، "الطب النبوي"، ص/215 (مؤسسة المختارة للنشر والتوزيع، القاهرة).

(36) ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" 153/10.

(37) غالب بن أبجر المزني، وقيل: غالب بن دُيخ، وقيل: دُريخ، سكن الكوفة. صحابي له حديث. انظر: أبو نعيم، "معرفه الصحابة" 2264/4، (الطبعة الأولى 1419هـ، دار الوطن، الرياض)، وابن حجر، "تقريب التهذيب"، ص/775.

(38) ابن أبي عتيق: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة القرشي التيمي. توفي بالمدينة، سنة اثنتين وسبعين ومائة. انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء" 426/7.

(39) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الطب، باب الحبة السوداء 34/4 (5687).

(40) ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" 152/10.

(41) المباركفوري، "تحفة الأحوذ شرح جامع الترمذي" 195/6. (الطبعة الثانية 1383هـ، المكتبة السلفية المدينة المنورة).

(42) ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" 152/10.

إن العلاج بالحبّة السوداء كانت سائدة عند الأطباء منذ القديم، فلقد ذكر جالينوس⁽⁴³⁾ "أنها تجلّ النفخ وتقلّ ديدان البطن إذا أكل أو وضع على البطن، وتنفّي الزكام إذا قُلي وصُرَّ في خرقةٍ وشَمَّ، وتُرزِل العِلّة التي تَقشّر منها الجلد، وتقلع التآليل [الحبّة تظهر في الجلد] المتعلقة والمُنكّسة، والخيلان [جمع خال الذي في الجسد]، وتُدرُّ الطمّث المُنخبس إذا كان انحباسه من أخلاطٍ غليظةٍ لَزَجّة، وينفع الصداع إذا طُلي به الجبين، وتقلع البثور والجرب، وتُحلّل الأورام البلغمية إذا تُصمّد به مع الخَلّ، وتنفع من الماء العارض في العين إذا استعط به مسحوقاً بذهن الأرييا، وتنفع من انتصاب النفس، ويتمضمض به من وجع الأسنان، وتُدرُّ البول واللبن، وتنفع من نهشة الرّتيلا [حشرة سامّة]، وإذا بَجُر به طرد الهوام". قال القاضي عياض: وقال غير جالينوس، خاصيته إذهاب حُمى البلغم والسوداء، وتقتل حب القرع [دودة شريطية]، وإذا عُلق في عنق المزموم نفعه، وينفع من حُمى الرّبع. قال: ولا يبعد منفعة الحار من أدواء حارة بخواص فيها، فقد نجد ذلك في أدوية كثيرة فيكون الشونيز منها لعموم الحديث، ويكون استعماله أحياناً منفرداً وأحياناً مركباً⁽⁴⁴⁾.

ووصف ابن سينا⁽⁴⁵⁾ العلاج بالشونيز ممزوجاً مع أدوية أخرى لكثير من العلل، فمثلاً يقول في وصفه السعوط لعلاج الصداع: "تأخذ من عصير أصول الحنظل الرطب ومن عصير أصول السلق ومن عصير أصول الرطبة؛ من كل واحد ملعقة. ومن الشونيز وحب الحرمل من كل واحد وزن درهمين. يُدق الشونيز وحب الحرمل ويسحقان سحقاً جيداً ثم اجمعهما بهذا العصير حتى يختلط ثم ارفعه فإذا احتجت إليه فخذ منه زنة دائق ودفه بمسقط من لبن أم جارية واسعط منه المريض فإنه يفتح السدد ويسخن وينقي الدماغ والرأس مما فيه من الفضول"⁽⁴⁶⁾.

ومن فوائد الحبّة السوداء أنها تقوي جهاز المناعة، فيقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم (زميل كلية الأطباء الملكية بلندن): "إن الأسرار العلمية الثابتة للحبّة السوداء لم يكتشف بعضها إلا منذ عام 1959، ولم يكتشف الدور المهم للحبّة السوداء في تنشيط وتقوية جهاز المناعة على أسس من التجارب العلمية المنضبطة، إلا عام 1986م، قام بها الدكتور أحمد القاضي وزملاؤه في فلوريدا - بالولايات المتحدة الأمريكية - وعرض بحثه في المؤتمر العالمي الرابع للطب الإسلامي الذي عقد في كراتشي باكستان في نوفمبر سنة 1986م، وأثبت في بحثه أن تناول الحبّة السوداء بجرعة قدرها جرام واحد مرتين يومياً؛ يُقوّي جهاز المناعة، وبدا الأمل معقوداً على الحبّة السوداء في شفاء الأمراض التي تصاحب نقص المناعة المكتسبة في الجسم، مثل السرطان والإيدز، ومرض الذئبة الحمراء وبعض الأمراض الأخرى الناتجة عن نقص المناعة. وثبت أن زيادة التأثير الإيجابي، تتحقق بزيادة جرعة الحبّة السوداء إلى جرامين مرتين يومياً، وأثبتت الدراسات العلمية الأولية أن للثوم تأثيراً مقوياً للمناعة، فإذا استعملت الحبّة السوداء، مع العسل أو الثوم، يكون التأثير الإيجابي مضاعفاً، وتؤكد بعد ذلك أن في الحبّة السوداء مواد مضادة للأكسدة Antioxidants"⁽⁴⁷⁾.

رابعاً: زيت الزيتون، زيت الزيتون هو زيت ناتج من عصر أو ضغط ثمار الزيتون. والزيتون شجرة مباركة، ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، بأساليب مختلفة، ما يدل على فضلها وعظيم منفعتها، منها قوله تعالى: "وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ"⁽⁴⁸⁾ فأقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الشجرة لعظيم منفعتها ومنفعة ثمارها. كما أقسم بالتين وهو أيضاً من الثمار المشهورة والمفضلة عبر التاريخ. وهي فاكهة كان لها التقدير منذ قديم الزمان بشكله الجاف والغض الأخضر. ولها قيمة غذائية وفوائد طبية جمة. ولم يأت له ذكر في السنة النبوية.

وقد حثّ النبي ﷺ على أكل الزيتون، فقال: "كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدْهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ"⁽⁴⁹⁾.

(43) جالينوس: كاتب وطبيب إغريقي شهير. ولد في العام 130م. له نحو من 830 مؤلف، كتب باللغة اليونانية وترجمت معظمها إلى اللغة السريانية كما ترجمت بعضها إلى اللغة العربية، وقد أثرت دراساته وكتاباته تأثيراً كبيراً في الطب

الغربي لمدة 1300 عام، وتوفي في العام 200م. انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org.
(44) قاضي عياض، "إكمال المعلم بفوائد مسلم" 118/7-119. (الطبعة الأولى 1419هـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع- المنصورة).

(45) ابن سينا: هو أبو علي الحسين بن عبد الله البخاري، الطبيب الفيلسوف. كان أبوه من دعاة "الإسماعيلية الباطنية". ولابن سينا مؤلفات في الطب والفلسفة والمنطق. ومن أشهر مؤلفاته في الطب: "القانون في الطب". توفي عام 428هـ. انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء" 531/17-537، وابن خلكان، "وفيات الأعيان" 157/2-160.

(46) انظر: ابن سينا، "القانون في الطب" 528/3.

(47) انظر: الدكتور أحمد شوقي، "موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي" (نهضة مصر للطباعة والتوزيع، بدون سنة النشر) 61/5-62.

(48) سورة التين، رقم الآية: (1).

(49) الترمذي، "الجامع الكبير" كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت 426/1 (1851)، وابن ماجه، "السنن" كتاب الأطعمة، باب الزيت 558/1 (3319)، (الطبعة الأولى، بدون سنة النشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض).
والحاكم، "المستدرک على الصحيحين" 135/4 (7142) (الطبعة الثانية، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت).

هذا الحديث رغب فيه النبي ﷺ بأكل زيت الزيتون والادهان به. والمراد بالأكل أي أكله مع الخبز وجعله إداماً. وأما المراد بالادهان، أي دهن الشعر به. والحكمة لأن الزيتون شجرة مباركة لكثرة ما فيها من القوى النافعة، أو لأنها تنبت بالأرض المقدسة التي بورك فيها، ويلزم من بركة هذه الشجرة بركة ما يخرج منها من الزيت.

قال ابن القيم رحمه الله في بيانه لفوائد زيت الزيتون: "الزيت حار رطب في الأولى، وغليظ من قال: يابس. والزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من التضيح أعدلته وأجوده، ومن الفج (غير نضيج) فيه برودة ويؤسسه، ومن الزيتون الأحمر متوسط بين الزيتين، ومن الأسود يسخن ويُرطب باعتدال، وينفع من السموم، ويُطلق البطن، ويُخرج الدود. والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلاً، وما استخرج منه بالماء فهو أقل حرارةً والطف وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه ملتينة للبشرة، وتبطن الشيب. وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار، ويشد اللثة، وورقه ينفع من الحمرة، والنملة، والفروح الوسخة، والشرى، ويمنع العرق، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا" (50).

خامساً: اللبن، وهو من جملة الأغذية التي وردت ذكرها في القرآن، ووردت بسباق الامتتان، فقال: "وإن لكم في الأنعام لعبرةً تُسفيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالِصاً سائِغاً للشاربين" (51).

كما دلت السنة أيضاً على أهمية اللبن الغذائية، روى ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أتى بلبن، فشرب، فقال: "إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، وإذا سقي لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزيء من الطعام والشراب إلا اللبن" (52).

وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن اللبن فيه من المواد النافعة الكثيرة التي تغني الإنسان عن الطعام، وكأنه يقول إن اللبن فيه كل ما يحتاجه الإنسان من المواد النافعة التي يحتاجها جسمه، ويأخذها من الطعام.

يقول المناوي رحمه الله: "لا يكفي في دفع العطش والجوع معاً شيء واحد إلا هو (اللبن) لأنه وإن كان بسيطاً في الجس لكنه مركب من أصل الخلقة تركيباً طبيعياً من جواهر ثلاث: جبنية، وسمنية، ومائية. فالجبنية باردة رطبة مغذية للبدن، والسمنية معتدلة في الحرارة والرطوبة ملائمة للبدن الإنساني الصحيح كثيرة المنافع، والمائية حارة رطبة مطلقة للطبيعة مرطبة للبدن فلذلك لا يجزيء من الطعام غيره" (53).

المبحث الثاني: الأغذية المحرمة والضارة.

كما سبق أن ذكرنا عند الكلام على أهمية الغذاء لجسم الإنسان، أن الغذاء مصدر طاقة للجسد، به يمارس نشاطه ويؤدي وظائفه.

ونظراً لهذه الأهمية حرص الإسلام في كل ما يصلح شأن الجسد ويعود عليه بالنفع، فإذا حرص على الاعتناء بالأغذية الطيبة والنافعة، وكذلك منع وحذر عن أخرى. فحرم الخبائث التي تؤدي إلى ضرره وقد تؤدي إلى إتلافه. قال تعالى: "قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلّ لعنير الله به فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم" (54) وقال: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَّمُ وَالْحُمُ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِعَنِيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفِقَةُ وَالْمُؤَفَّقَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسْقٌ" (55).

إضافةً إلى ذلك فقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أشياء، علاوةً على ما سبق بيانه في هذه الآيات. كما سيأتي.

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 654/1، رقم: (379). (مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ).

(50) ابن القيم، "الطب النبوي"، ص/229.

(51) سورة النحل، رقم الآية: (66).

(52) أبو داود، "السنن" كتاب الأشربة، باب ما يقول إذا شرب اللبن 564/1 (3730) واللفظ له. والترمذي، "الجامع الكبير" كتاب الدعاء، باب ما يقول إذا أكل طعاماً 785/1 (3455)، و أحمد، "المسند" 440/3 (1978)، كلهم بطرق عن علي بن زيد عن عمر بن حرملة، عن ابن عباس. والحديث بهذا الإسناد ضعيف. عمر بن حرملة - أو ابن أبي حرملة - مجهول كما في التقريب، ص/715، رقم: (4909). وعلي بن زيد - وهو ابن جُدعان - ضعيف كما في التقريب أيضاً، ص/696، رقم: (4768). وأخرج ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب اللبن 559/1 (3321) حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. بدون ذكر القصة. والحديث حسنه الترمذي. قال الألباني تعليقاً على تحسين الترمذي: وهو كما قال بمجموع الطريقتين. انظر: "السلسلة الصحيحة" 411/5، برقم: (2320). وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون في مسند أحمد.

(53) المناوي، "فيض القدير" 381/1.

(54) سورة الأنعام، رقم الآية: (145).

(55) سورة المائدة، رقم الآية: (3).

علة تحريم الخبائث:

إن المتأمل للمحرّمات التي ساقها القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد أن التحريم كان لأحد أمرين: الأول: ضرر هذه المطعومات على الجسد، لأنها من الخبائث، كالميتة والدم ولحم الخنزير والمنخقة والموقودة والمتردية ونحوها. وقد يكسب أكل الخبائث صفة الخبث، كمن يأكل لحم الخنزير فإنه يفقد الغيرة وما إلى ذلك من صفات الديانة، وكذلك أكل لحوم السباع يؤدي إلى الأخلاق السبعية، وهكذا...

والثاني: لأمر اعتقادي، كالذي أهل لغير الله، والحكمة في تحريم ما أهل لغير الله، يقول عنها السيد قطب: "فهو محرّم لا لعله فيه، ولكن للتوجه به لغير الله. محرّم لعله روحية تنافي صحة التصور، وسلامة القلب، وطهارة الروح، وخلوص الضمير، ووحدة المتجه. فهو ملحق بالنجاسة المادية والقذارة الحقيقية على هذا المعنى المشترك للنجاسة. وهو ألصق بالعقيدة من سائر المحرّمات قبله. وقد حرص الإسلام على أن يكون التوجه لله وحده بلا شريك"⁽⁵⁶⁾.

فالحكمة الشرعية ظاهرة من تحريم بعض المطعومات، إما لضررها المادي على الجسد، وإما لضررها المعنوي على العقيدة والتصوير الصحيح. ولقد جاء العلم الحديث ليؤكد هذه الحكمة. وسيكون الكلام على بعض هذه المطعومات فيما يلي: أولاً: الخمر، وهي تأتي اللغة بمعنى الغطاء⁽⁵⁷⁾، فكان الخمر تغطي عقل شاربه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الخمر ما خامر العقل"⁽⁵⁸⁾. أي غطاه بالسكر والذحول.

وفي الاصطلاح هو "كل ما كان مُسكرًا سواء كان متخذًا من الفواكه كالعنب والرطب والتين والزبيب أو من الحبوب كالحنطة أو الشعير أو الذرة أو من الحلويات كالعسل وسواء كان مطبوخاً أو نبيئاً"⁽⁵⁹⁾.

والخمر حرام بكتاب الله وسنة رسول الله مما هو معلوم بالدين من الضرورة، وسرد النصوص هنا يضيق عنه المكان. وهناك فكرة سائدة بين بعض الناس بأن الخمر تزيد من قوة الشخص وقدرته وتهبه الشجاعة والجرأة فإذا به يعمل من الأعمال ما لا يستطيع أن يعملها بدونها!

هذه الفكرة خاطئة، وبعيدة عن الصواب، والحق خلاف ذلك؛ لأن للخمر مضار ومفاسد عظيمة فهي تضعف قوة المقاومة والمناعة في الجسم، فشارب الخمر أكثر تعرضاً للأمراض من غيره وأكثر استعداداً للتأثر من تقلبات الجو من غيره. فلا غذاء ولا دواء في الخمر، ويؤكد ذلك حديث ديلم الحميري⁽⁶⁰⁾ قال: سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! "إنا بأرض باردة نُعالج فيها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا"؟ قال: "هل يُسكرُ؟" قلت: نعم، قال: "فاجتنبوه". قلت: إن الناس غير تاركيه، قال: "إن لم يتزكوه فقاتلوه"⁽⁶¹⁾.

وهذا الحديث فيه رد على من يشرب الخمر بزعم الشجاعة، وحصول الدفء. أما ما يُتوهم بالشجاعة والكرم، فيقول الأطباء "بأنها تحدر المناطق المخية العليا حيث الفكر والرؤية وحيث العقل. يعقل الشهوات الجامحة فيبدو لذلك المخمور وكأنه شجاع مقدم وهو ليس كذلك.. إذ سرعان ما ينقلب الأمر إلى ضده وتقلب تلك الشجاعة إلى خور وجبن. وعلى كل حال فليست تلك الشجاعة بالشجاعة المحمودة ولا ذلك الكرم بالكرم المحمود.. فإذا كانت الشجاعة في غير موضعها سميت تهوراً وإذا كان الكرم في غير موضعه انقلب إلى إسراف وتبذير"⁽⁶²⁾.

وأما ما يُتوهم بالدفء، فيقول الأطباء "بأنها توسع الأوعية الدموية الموجودة في الجلد ويؤدي ذلك إلى الإحساس بالدفء بل والحرارة. وفي نفس الوقت يفقد المرء حرارة جسمه إلى الجو البارد ويؤدي ذلك إلى هلاكه. وقد نشرت المجلة

(56) السيد قطب، "تفسير في ظلال القرآن" 157/2. (الطبعة الثانية والثلاثون 1423هـ دار الشرق، القاهرة/ بيروت).

(57) انظر: ابن منظور، "لسان العرب" 254/4، مادة: (خمر). (دار المعارف، القاهرة، مصر. بدون سنة النشر).

(58) البخاري، "صحيح البخاري" كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ..." 225/3 (4619)، ومسلم، "صحيح مسلم" كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر 2322/4 (3032).

(59) انظر: محمد علي البار، "الخمر بين الطب والفقهاء"، ص/27، (الطبعة السادسة 1406هـ، الدار السعودية، جدة/الدمام). و أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي "الخمر وسائر المسكرات تحريمها وأضرارها"، ص/30. (الطبعة الرابعة 1397هـ، المحكمة الشرعية، الدوحة، قطر).

(60) ديلم الحميري: هو ديلم بن أبي ديلم. ويقال: ديلم بن فيروز. ويقال: ديلم بن هوشع. صحابي مشهور، سكن مصر. انظر: ابن عبد البر، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" 463/2 (الطبعة الأولى 1412هـ، دار الجليل، بيروت).

(61) أبو داود، "السنن" كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر 557/1 (3683)، وأحمد، "المسند" 570/29 (18036)، كلاهما عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن ديلم الحميري به. والحديث رجال إسناده ثقات، عدا محمد بن إسحاق المدني، فإنه صدوق، كما في التقريب، رقم: (5760). وحسن الحافظ إسناده في فتح

الباري 47/10.

(62) الدكتور محمد علي البار، "الخمر بين الطب والفقهاء"، ص/56.

الطبية لأمريكا الشمالية⁽⁶³⁾ أن شرب الخمر هو أهم سبب لحدوث حالات الوفيات الناتجة عن انخفاض درجة حرارة جسم الإنسان مما يؤدي إلى الإغماء ثم الوفاة".

وسأل طارق ابن سويد الجعفي⁽⁶⁴⁾ النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: "إنما أصنعها للدواء!" فقال: "إنه ليس بدواءٍ وَكَئِنَّ دَاءً"⁽⁶⁵⁾.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: "هذا دليل لتحريم اتخاذ الخمر وتخليها، وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوى بها، لأنها ليست بدواء، فكأنه يتناولها بلا سبب. وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوى بها."⁽⁶⁶⁾

ثانياً: الميتة، وهي، "كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره، مما أباح الله أكلها، أهلئها ووحشئها، فارقتها روحها بغير تذكية"⁽⁶⁷⁾. قلت: وفيه احتراز من ميتة البحر، فهي حلال الأكل عند الجمهور⁽⁶⁸⁾.

إن الميتة من جملة الأطعمة المحرمة والخبيثة، قال تعالى: "قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلٌ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ"⁽⁶⁹⁾.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك، وقد لا يبين. فأخبر أنه حرّم (الميتة) والمراد بالميتة: ما فوّدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضر بأكلها. وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها، فتضّر بالأكل..."⁽⁷⁰⁾

ولقد ثبت علمياً بأن الميتة تكون مرعى خصباً للميكروبات، ومنها الميكروبات المرضية التي تسبب أمراضاً فاتكة بالإنسان، ومنها ما ينتج سموماً تؤدي الإنسان، وقد لا تفسد هذه السموم بالطهي، وتسبب تسمماً للإنسان إذا أكلها حتى بعد طهيها.

ثالثاً: الدم، والمراد بالدم، المسفوح كما قيد في قوله: "أو دمًا مسفوحاً"⁽⁷¹⁾. وأما ما خالط اللحم، فنقل الإمام القرطبي الإجماع على عدم تحريمه، وكذلك الكبد والطحال مجمع على حله⁽⁷²⁾.
أضرار الدم بالصحة:

إن وجود الدم في جسم الحيوان الميت يساعد على نمو الميكروبات في الجسم، وسرعة فساد اللحم، ولقد أشار الرازي في تفسير قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ.." إلى أثر احتباس الدم في جثة الميتة وسرعة تعفنه، فقال: "واعلم أن تحريم الميتة موافق لما في العقول لأنّ الدم جوهر لطيف جداً فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضارٌ عظيمة"⁽⁷³⁾.

ونظراً لهذه الأسباب وغيرها نجد أن الإسلام حرص وحتم التذكية الشرعية التي تقتضي تصفية الدم من الحيوان بعد ذبحه. وهذه الطريقة (الذبح الشرعي) مضمون تماماً بخروج الميكروبات والجراثيم عن طريق الدم وعدم احتباسها فيه.

رابعاً: لحم الخنزير، إن لحم الخنزير (Pork) محرّم بنص الكتاب والسنة. ولقد نزلت أربع آيات في القرآن الكريم⁽⁷⁴⁾ تحرم أنواعاً من المطاعم، ذكر فيها جميعاً لحم الخنزير، فهذه الآيات كلها صريحة في تحريم الخنزير لحمًا وشحمًا لأن اللحم مع الشحم يقع عليه اسم اللحم فهو داخل في اسم اللحم⁽⁷⁵⁾.

(63) (Medical Clinics of North America, Jan 1984) نقلاً عن: كتاب: الخمر بين الطب والفقهاء، للدكتور البار، ص/56.

(64) طارق بن سويد الحضرمي أو الجعفي، ويقال: سويد بن طارق. قال ابن مندة: وهو وهم له صحبة. انظر: ابن حجر، "الإصابة في تمييز الصحابة" 412/3. (الطبعة الأولى 1415 هـ دار الكتب العلمية، بيروت).

(65) مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر 1573/3 (1984).

(66) النووي، "شرح على صحيح مسلم" 153/13.

(67) قاله الطبري في تفسيره 492/9.

(68) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية 39/394. (الطبعة الثانية 1409 هـ ذات السلاسل، الكويت).

(69) سورة الأنعام، رقم الآية: (145).

(70) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص/219.

(71) سورة الأنعام، رقم الآية: (145).

(72) انظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" 2/222.

(73) مفاتيح الغيب 106/11.

(74) انظر: الآية: (173) من سورة البقرة، والآية رقم: (3) من سورة المائدة، والآية رقم (145) من سورة الأنعام، والآية (115) من سورة النحل.

وقد وردت كلمة خنزير ومشتقاتها في السنة النبوية في مواضع كثيرة، كلها في مجال الدم والقروح والتتكيل والتحذير. العلة في تحريم لحم الخنزير:

إن الله سبحانه وتعالى حرّم أكل الخنزير وأخبر بأنه رجس، أي نجس. إلا أنه لم يحرم فقط لأجل ذلك بل هناك مفسد وأضرار صحيّة متنوعة التي يمكن أن تصل إلى حدّ إهلاك من تناوله. يقول أهل العلم "أن كل ما أحل الله تعالى من المأكّل، طيبٌ نافعٌ في البدن والدين، وكلُّ ما حرّمه فهو خبيثٌ ضارٌّ في البدن والدين"⁽⁷⁶⁾.

إن الخنزير مفقود الغيرة، فالذي يأكل لحمه يكون مثله في فقد الغيرة، وهذا هو الظاهر في أهل أوروبا وأمريكا الذين يدمنون أكل لحم الخنزير، فهم فاقدون الغيرة -إلا ما شاء الله- والخيانة الزوجية شائعة جداً فيما بينهم.. وكذا انتشار الزنا واللواط في هذه البلاد أمرٌ معروفٌ شائعٌ.

يقول الفخر الرازي: "قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المتغذي فلا بد أن يحصل له أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرصٍ عظيم، ورغبة شديدة في المشتبهات، فحرم أكله لئلا يتكيف بتلك الكيفية"⁽⁷⁷⁾.

وهذه الحقيقة ثابتة علمياً بأن الأغذية والأشربة تتحول بعد الهضم والامتصاص إما إلى طاقة تحرك الجسم، ووقود للعقل والقلب، أو إلى مواد لبناء الأنسجة وإبدال التالف منها بجديد صالح⁽⁷⁸⁾.

وقد ثبت في دهن الخنزير بأنه لا يتحول بعد الهضم إلى دهن إنساني كما يفعل الجسم ببقية دهون الحيوانات من الأنعام بل إن الغريب أن دهن الخنزير يبقى على هيئة الخنزيرية.. ويطرسب في الجسم على هيئة الخنزيرية.. ويتحول إلى طاقة على هيئة الخنزيرية⁽⁷⁹⁾.

بعض الأمراض التي ينقلها لحم الخنزير:

كما سبق أن ذكرنا أن من طبائع هذا الحيوان، أنه يأكل الخبيث المستقذر، الذي تعافه الناس، فجسمه منبع لشتى الأمراض. ولعل السبب الحقيقي لذلك هو ما يتعرض له هذا الحيوان من تلوث كبير عن طريق الفضلات والافرازات البشرية التي يقبل عليها ويتناولها بهم، من القمامات والمستقذرات التي يتغذى عليها. لذا فقد أثبت العلم الحديث أن الخنزير من بين سائر الحيوانات يُعدّ أكبر مستودع للجراثيم الضارة بجسم الإنسان.

وهذه الحقيقة أثبتها الطبيب الألماني هانس ريكفينغ، حيث يقول: "لا بد أن أشير إلى التراث القديم عند بعض الأمم حيث كان للتعاليم التي أرساها النبيان محمد وموسى أكبر الأثر في التزام المسلمين واليهود بقوانين الله الطبيعية. ففي إفريقيا حيث يعيش المسلمون وغيرهم في ظروف مناخية واحدة، نجد بالمقارنة، أن الشعوب الإسلامية تتمتع بصحة جيدة لأن لحم الخنزير محرم في شريعتها، بينما نجد أن الشعوب الأخرى التي تعتمد النظام الغربي في تغذيتها تصاب بأمراض ترتبط كل الارتباط بتناولها لحم الخنزير"⁽⁸⁰⁾.

وقد عدّ بعض أهل العلم الأمراض التي تصيب الخنزير، وهي 450 مرضاً، منها 57 مرضاً طفيلياً تنتقل منه إلى الإنسان، بعضها خطير بل وقاتل، ويختص الخنزير بمفرده بنقل 27 مرضاً وبائياً إلى الإنسان، وتشاركه بعض الحيوانات الأخرى في نقل بقية الأمراض، لكنه يبقى المخزن والمصدر الرئيسي لهذه الأمراض، هذا عدا عن الأمراض الكثيرة التي يسببها أكل لحمه كتليف الكبد، وتصلب الشرايين، وضعف الذاكرة، والعقم، والتهاب المفاصل، والسرطانات المختلفة ووغیرها⁽⁸¹⁾.

خامساً: أكل الجوارح، والمراد بالجوارح هي كل ما كان له ناب من السباع أو مخلب من الطيور.

(75) انظر: الخازن، "الباب التأويل في معاني التنزيل" 140/1. دار الفكر، بيروت، لبنان 1399هـ).

(76) انظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم" 488/3.

(77) الخازن، "مفاتيح الغيب" 106/11.

(78) انظر: الدكتور محمد علي الباري، "الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم لحم الخنزير"، ص/21 (الطبعة الأولى 1406هـ الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة).

(79) انظر المرجع السابق.

(80) له بحث عن أضرار لحم الخنزير، ترجمه الدكتور محمد غوزي. وهو غير مطبوع، ونشرت ملخص البحث جريدة المدينة في 1405/5/2هـ. ذكره الدكتور محمد علي الباري في كتابه "الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم لحم الخنزير". وانظر أيضاً: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية. أحمد جاد 390/1. (الطبعة الأولى 1430هـ، دار الغد الجديد، القاهرة - المنصورة).

(81) انظر: الدكتور فهمي مصطفى، المقال بعنوان: "إعجاز القرآن الكريم في مدة الرضاعة ونوعيتها" [من أبحاث المؤتمر العالمي الكويت] منشور على موقع إعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة

ولقد حرم النبي ﷺ الجوارح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير"⁽⁸²⁾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السَّبَاعِ فَأَكْلُهُ حَرَامٌ"⁽⁸³⁾. وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، مما هو مذهب الجمهور⁽⁸⁴⁾.

أضرار تناول لحم الجوارح في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة:

لقد ثبت علمياً بأن الإنسان يكتسب بعض صفات الحيوانات التي يأكلها، لأن السميات والمفرزات التي تكون في لحوم

تلك الحيوانات تسري في دم الإنسان وتنتقل إلى معدته فتؤثر في أخلاقياته، فقد ثبت أن الحيوان المفترس حينما يريد اقتناص فريسته تفرز في جسمه هرمونات تساعده على اقتناص الفريسة. يقول الدكتور (س. لبيج) أستاذ علم التغذية في بريطانيا: "إن هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان حتى وهو حبيس في قفص عندما تقدم له قطعة لحم لكي يأكلها"، ويعلل نظريته هذه بقوله: "ما عليك إلا أن تزور حديقة الحيوانات مرّة وتلقي نظرة على النمر في حركاته العصبية الهائجة أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضعها، فترى صورة الغضب والاكفهرار المرسومة على وجهه، ثم ارجع ببصرك إلى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما يأكل وهو يلعب مع الأطفال والزائرين، وانظر إلى الأسد وقارن بطشه وشراسته بالجمل ووداعته".

والشيء الملاحظ على آكلات لحوم الجوارح وغيرها من اللحوم المحرمة، أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل إلى العنف، ولو بدون سبب إلا الرغبة في سفك الدم، كما ثبت بالدراسات أن القبائل التي تسمتري أكل مثل تلك اللحوم بعضها تصاب بالضراوة فتأكل لحوم البشر، كما تصاب بعض هذه القبائل بنوع من الفوضى الجنسية وفقدان الغيرة على الجنس الآخر. وما ظهر حديثاً من الأمراض الفتاكة مرض سارس (SARS)⁽⁸⁵⁾ الذي اجتاح الصين وجنوب شرق آسيا، وانتقل إلى مناطق أخرى في العالم. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه نتيجة لأكل لحم الجوارح والكلاب، وذلك بحسب ما أعلن فتحت عنوان: "السارس سببه إقبال الصينيين على أكل القطط والكلاب البرية". ولأجل الخوف من انتشار السارس عن طريق الحيوانات الأليفة جعل السلطات في بكين والمدن الأخرى تأمر بجمع القطط والكلاب الضالة والحيوانات الأخرى وتقتلها. كما دفع أصحاب الحيوانات الأليفة إلى التخلي عن حيواناتهم، وذكر الصندوق الدولي لرعاية الحيوانات في موقعه على الإنترنت أن الذعر من السارس دفع بالمئات من مالكي القطط والكلاب في بكين إلى التخلي عن حيواناتهم خوفاً من أن تكون هي مصدر المرض القاتل، وطبقاً لإحصاءات منظمة الصحة العالمية فإن السارس قضى على نحو 700 شخص، وأصاب بالعدوى أكثر من ثمانية آلاف آخرين في أنحاء العالم⁽⁸⁶⁾.

(82) أخرجه مسلم في نفس الموضوع السابق، رقم الحديث (1934).

(83) مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم" كتاب الصيد والذباح وما يؤكل من الحيوان باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير 1534/3 (1933).

(84) انظر: الشوكاني، "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من حديث أحاديث سيد الأخيار" 131/8 - 132. (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة)

(85) بدأ ظهور فيروس سارس في الصين وأخذ ينتشر في بلدان العالم ولاسيما في دول جنوب شرقي آسيا ليصيب ضحاياه بصعوبة التنفس والتهاب رئوي غامض. عُرف لاحقاً بمتلازمة التهاب الرئوي الحاد، المسبب للوفاة. يعرف علمياً بالمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (Severe acute respiratory syndrome). منقول عن موقع: _

<http://ar.wikipedia.org>

(86) انظر: "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية" لأحمد جاد، ص/76-78، وانظر أيضاً المقالة بعنوان:

"علة تحريم أكل الجوارح وكل ذي ناب" [منشورة على موقع: <http://www.s3udy.net/quraan/Z8.htm>]